إنجيل متى ١٦: ١٣-٢٠

« كنيستي »

تأليف: تومي ساوث

« ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً: من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون إرمياءأو واحد من الأنبياء. قال لهم: وأنتم، من تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي! فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها! وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماء. حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع» (متى ١٦: ١٣-٢٠).

اعتراف بطرس العظيم في إنجيل متى ١٦: ١٦ يبين ان تلاميذ المسيح كانوا قد بدأوا يعرفون من كان حقاً وماذا جاء إلى الأرض ليعمل[١]. والآن يثبت المسيح وجهه نحو أورشليم ويتحرك لكي يلتقي بالصليب. ولكن قبل ان يفعل ذلك، وعد تلاميذه بوعد عظيم استجابة لاعتراف بطرس: « وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦: ١٨).

تجذب كثير من وجهات هذا التصريح انتباهنا. فنسأل: هل كان بطرس « الصخرة »، أم كان يسوع يتحدث عن « صخرة » اعتراف بطرس؟ وماذا قصد يسوع بـ « أبواب الجحيم »؟ وماذا كانت الـ « مفاتيح » التي وعد بها التلاميذ في الآية ١٩؟

هذه الأسئلة كلها ذات أهمية، تستحق معرفة أجوبتها كلها. وسيكون من السهل أيضاً ان ننتبه إلى هذه النقاط بينما تفوت علينا الأشياء الأكثر أهمية في هذا النص كله – كلمهم المسيح قائلاً: « أبني كنيستي ».

اختلف المسيحيون في الماضي على الطريقة التي كان يتكلم بها الناس عن الكنيسة. كنا حريصين على استخدام العبارة « كنيستي » أو « كنيستنا »، الكنيسة التي نعترف بها هي تابعة للمسيح؛ انها دائماً كنيسته، لم نكن نريد ان نقول أي شيء قد يشوب تلك الحقيقة العظيمة والموضحة بجلاء في الآية ١٨. ولكن يسوع لم يقل: « ابني كنيستي » لكي يعلمنا فقط بمصطلح صحيح، بل قال هذا ليعبر عن حقيقة روحية عظيمة. قد يكون المصطلح الذي نستخدمه صحيحاً ومع ذلك يفوت علينا المقصود بان الكنيسة هي كنيسة المسيح.

يأتي بنا هذا إلى نقطة حقيقية يجب ان نضعها في الاعتبار: لماذا صرح يسوع قائلاً: « ابني كنيستي »؟

لأن الكنيسة مبنية على هوية المسيح

كان الوعد الذي وعد به يسوع بقوله: « ابني كنستي » هو استجابة لاعتراف التلميذ القائل « أنت هو المسيح ابن الله الحي ». تلك هي « الصخرة » التي وعد يسوع ان يبني عليها

[١] هذا لا يعني انهم قد فهموا كل شيء بصورة كاملة إلى هذا الوقت، كما تظهر ذلك الآيتان ٢٢ و٢٣.

الكنيسة، أية حقيقة من هو. لم يتم تأسيس الكنيسة على بطرس (الـ «صخر»)، بل على الصخرة {لاحظ بان الكلمة الأولى مذكر والثانية مؤنث} أي أعماق الحقيقة التي اعترف بها والذي مازال المؤمنون يعترفون بها اليوم.[٢] قال بولس: «فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضِعَ، الذي هو يسوع المسيح» (كورنثوس الأولَى ٣: ١١). دُعِيَ يسوع بانه «حجر الزاوية» الذي عليه بُنِيَ «بيت الله» (أي الكنيسة) أفسس ٢: ٢٠. كان بطرس أكثر تشدداً عندما أشار إلى أهمية النبوة عن يسوع بانه حجر زاوية الكنيسة، إذ قال:

> الذي تأتون إليه حجراً حياً مرفوضاً من الناس، ولكن مختار من الله كريم. كونوا أنتم أيضاً كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح. لذلك يتضمن أيضاً في الكتاب: هنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يُخْزَى. فكلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما للذين لا يطيعون فالحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة الذين يعثرون غير طائعيين للكلمة الأمر الذي جُعِلُوا له (بطرس الأولى ٢: ٤-٨).

صارت الكنيسة كما هي لأن يسوع هو هو. إن لم يكن يسوع هو المسيح وابن الله، لكانت الكنيسة أكبر خدعة تاريخية حققت أكبر نجاح.

لهذا السبب، فان عضوية الكنيسة مرتبطة بطريقة قوية بإيماننا الراسخ بشخصية يسوع. أنت في الكنيسة إن كنت في المسيح، إن كنت قد اعترفت باسمه واعتمدت إلى موته وقيامته. لهذا السبب يوجد في العهد الجديد (رغم انه لا يجب الاعتراف به في التعليم اللاهوتي لكنائس كثيرة) انه اعتناق المسيحية والعضوية في كنيسة المسيح هما الشيء نفسه. في يوم الخمسين، عندما بدأت الكنيسة، أوصى بطرس الذين اقتنعوا بحقيقة هوية يسوع انه «رباً ومسيحاً» (أعمال ٢: ٣٦) ان يتوبوا وليعتمد كل واحد منهم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فيقبلوا عطية الروح القدس (أنظر أعمال ٢: ٣٨). ونقرأ ما يلي: «فقبلو كلامه بفرح، واعتمدوا، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس ... وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون» (أعمال ٢: ٤١ و٤٧). الولادة الجديدة في المسيح تضعنا تلقائياً في الكنيسة. شخصية المسيح هي أساس الكنيسة. اصبحنا ما نحن عليه (أي الكنيسة) لانه هو ما هو.

لأنها كائنة لتعمل مشيئة المسيح

لم يؤسس الله الكنيسة على الأرض لكي تعمل ما شاءت، بل لتعمل مشيئة المسيح. بالمفهوم الشخصي، يجب ان تكون مشيئته هي الموجه المطلق لجميع المسيحيين، لقراراتنا، وسلوكنا، وطريقة حياتنا - أي لكل شيء! قال المسيح: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يوحنا ٤: ٣٤). بهذه الطريقة نفسها يجب أن يكون طعامنا، ورزق حياتنا، هو ان نتمم مشيئة المسيح الذي خلصنا. حذر بولس المسيحيين ان لا يكونوا أغبياء، بل يكونوا «فاهمين ما هي مشيئة الرب» (أفسس ٥: ١٧). قال بطرس ان لا نعيش أيضاً «الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس، بل لإرادة الله» (بطرس الأولى ٤: ٢). الكنيسة بالمفهوم الجماعي، يجب ان تكون أعمالنا نحن الكنيسة أعماله: الكرازة بالإنجيل

---

[٢] مازال هناك جدل حول ما إذا كان «بطرس» (اليونانية: بتروس، أي حجر) هو الصخرة (اليونانية: بترا) الذي قال يسوع انه يبني عليها الكنيسة. أستخدمت الصيغة بترا (صخرة) عند الحديث عن الصخر الذي حفر فيه قبر يسوع، أي طبقات من صخور هائلة وليس مجرد قطعة واحدة من الحجر. كلمة بتروس (صخر) هي صيغة المذكر لكلمة بترا (صخرة). لا يوجد فرق بين الصفتين في اللغة الأرامية. لا شك بان لبطرس دور قيادي بين الرسل (الذين يسمونهم بما فيهم الأنبياء: «أساس» الكنيسة في الرسالة إلى أهل أفسس ٢: ٢٠)، وبانهم أظهروا ولاء راسخ ليسوع مثل صخر، مع انه لم يكن بعيداً عن التزعزع. ولكن القول بان يسوع بنى الكنيسة على بطرس، هذا أمر مبالغ فيه، لأنه بينما تسمي الرسالة إلى أهل أفسس ٢: ٢٠ الرسل والأنبياء «أساس» الكنيسة، تقول أيضاً ان «يسوع المسيح نفسه» هو «حجر الزاوية». حتى ولو أذعن أحد بان يسوع كان يتحدث عن بطرس في الآية ١٨، هذا لا يثبت صحة الادعاء بان الكنيسة بنيت على بطرس وعلى خلافاءه الرسوليين.

لكل خليقة، وان نعمل كل الصلاح بقدر المستطاع طول الحياة.

قد فهمنا هذا المبدأ تعليمياً أكثر مما فهمناه عملياً. حسب التعليم، هذا المبدأ يعني انه ليس من حقنا ان نغير الكنيسة لتعمل على هوانا، ما إذا كان في نطاق تعاليمها، أو تنظيمها، أو عبادتها، إلخ. هذا المبدأ مفقود تماماً في عالم الديانة بصفة عامة. بمفهوم ما، نظام الطائفية برمته هو أثر ناتج عن جهل الناس لمشيئة المسيح. قد تجاوز الناس مشيئة المسيح المعبر عنها في الكلمة لكي يعملوا بما يرضيهم، أو بالتقاليد أوالميل إلى تعاليم لاهوتية {لا يدعمها العهد الجديد}. يصعب للباحث عن الحق ان يجدها في المتاهات الدينية التي توجد اليوم. يدرك معظم الناس حقيقة المبدأ، إذا ثبتوا فيها أم لا.

على المستوى التطبيقي، ان مبدأ ملكية الكنيسة المقصور على المسيح له علاقة بالكيفية التي تقوم بها الكنيسة بعملها. هذه هي النقطة التي لم نفهم فيها جيداً مُلْك المسيح على الكنيسة. نتمثل أحياناً كانه توجد لدينا خيارات ليست لدينا أبداً. انه ليس خيارنا ان نبشر بالإنجيل إلى العالم الضال أم لا، لأن هذه هي إرساليته! ليس لدينا خيار إلا ان نطعم الجياع ونكسي العريانين في عالمنا، لأن هذه هي إرادة سيدنا المعبر عنها. ولكن كلما أُتيحت الفرصة للكنيسة لتقوم بعمل جيد في حقل التبشير أو لتفي بحاجات الناس، يكون سؤالنا الأول عادة هو: «هل نقدر على ذلك؟» هذا السؤال ليس في محله! السؤال الصحيح هو: «هل هذا {العمل} هو مشيئة المسيح؟»، إذا كان هذا مشيئة المسيح، لا تقدر الكنيسة إلا على القيام به! تصنع معظم الكنائس قرارات كثيرة وهم ينظرون إلى حساباتهم المصرفية عوضاً عن النظر إلى الكتاب المقدس والصلاة لطلب مشيئته. من مهام القيادة الكنسية هو ان تتأكد بان الكنيسة تعمل مشيئة المسيح ولا تسمح لها ان تتحول عن غايتها لتعمل إرادة الناس. من نواحي كثيرة، علينا أن نعطي الكنيسة للرب مرة أخرى، وذلك بعمل ما قُصد للكنيسة أن تعمل لأنها كنيسته؛ ليس لدَينا الخيار إلا العمل بمشيئته.

لأنها أتت إلى الوجود بقوة المسيح وهي كائنة بقوته

«وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» ما دامت الكنيسة تتمسك باعترافها بالمسيح، لا يُغْلب عليها على الاطلاق. كما ان الموت لم يقدر ان يمنع يسوع عن تحقيق مهمته، فلا يقدر الموت أيضاً ان يهدم كنيسته ولا يقدر أن يمنعنا عن تتميم مهمتنا.

> فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا، فمن علينا؟ الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟ من سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرر، من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا. من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ ... ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فإني متيقن انه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء، ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا (رومية ٨: ٣١-٣٩).

القوة نفسها التي أقامت يسوع من الموت تتمم عمله فينا وبنا. الله هو دائماً الذي «يُنْمِي» (كورنثوس الأولى ٣: ٧) عمل ملكوته. لا تحيا الكنيسة وتنمو بدستور الإنسان. اصبحت «حركة نمو الكنيسة» فائقة القيمة إذ تساعدنا لنتعلم ان نعمل عملنا بصورة أفضل، ولكن لا يجب ان نسيء تفسيرها انها تعطي وسائل «أكيدة» التي تجعل الملكوت ينتشر بالبراعة. اننا لا «نسبب النمو» بل المسيح وحده الذي يُنْمِي. هذه كنيسته، وهي تحيا، وتعمل، وتنمو بقوته.

الخلاصة

هذا ما قصده يسوع عندما دعى الكنيسة بـ «كنيستي»: مبنية على هويته، تحيا لكي تتمم مشيئته، وهي تحيا بقوته.

الان علينا ان نطرح هذا السؤال بكل إخلاص: «إلى أي حد تكون كنيستنا هي كنيسته؟».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧